

جهود المكتبة الوطنية الجزائرية في ترميم التراث وصيانه

- تقرير ميداني -

الأستاذة: جهيدة بوعزيز

قسم التاريخ، جامعة المسيلة

المقدمة:

باعتباري باحثة في التاريخ العثماني من خلال المخطوطات الجزائرية المحلية فاني أعي جيدا القيمة البالغة لهذا النوع من الارث الحضاري القيم، والذي يُعد ثروة وطنية وإنسانية ذات قيمة حضارية كبيرة. وقد توجهت مرارا إلى المكتبة الوطنية للعمل على هذه المخطوطات النادرة لكنني واجهت بعض الصعوبات في قراءة بعضها لأن التلف قد نال منها للأسف، لذا ارتأيت أن أسلط الضوء على الجهود المبذولة من طرف مسؤولي المكتبة الوطنية للحفاظ على هذا التراث العريق، وهو ما يعكس مدى رغبتنا كباحثين في وجود مشروع حقيقي وبرنامج خاص يهتم بصيانة وترميم هذا الارث الحضاري وحمايته من الاندثار خاصة مع تزايد المخاطر التي تهددها وتسرع من تلفها وبالتالي فقدانها.

وأعتقد أن هناك جهودا جبارة تُبذل في هذا الصدد وهذا ما يتضح لنا من خلال الوسائل التقنية الحديثة التي أصبحت تتعامل بها المكتبة الوطنية، والتي تهتم برقمنة وتصوير المخطوطات بواسطة الماسح الضوئي بحيث يمكن لمئات الباحثين الاطلاع على الوثيقة نفسها دون أن يلحق بها أي ضرر مادي، لكن هل هذا كاف للحفاظ عليها؟ أم أن هناك طرقا أخرى لذلك؟ ثم ماذا عن المخطوطات التي تلف جزء كبير منها هل يمكن صيانتها وترميمها؟ وما هي الطرق المعتمدة لذلك بمكتبتنا الوطنية؟ وهل من برنامج خاص لمعالجتها وإعادة الحياة إليها؟ ومن جهة أخرى هل كل من يعمل بالمكتبة الوطنية يتم تأهيله وتوعيته بالمسؤولية تجاه هاته المخطوطات التي تمثل ذاكرة الأمة وتعكس هويتها العربية والقومية؟ أم أن هناك تفريط في هذا الجانب؟ وهل كل الطرق التي تحفظ بها المخطوطات طرق تقنية حديثة أم أن هناك طرقا بدائية مازالت تُستخدم أحيانا من

طرف بعض العاملين دون وعي الأمر الذي يؤدي إلى التأثير على هذه الأوعية المعرفية وربما يؤدي إلى طمس المعلومات المهمة التي تحتويها؟ وعلى صعيد آخر هل من مشروع لجمع المخطوطات الأسرية الدفينة وكذا مخطوطات الزوايا العريقة بالمكتبة الوطنية وإخضاعها لمثل هاته التقنيات الحديثة؟ وإلى أي مدى يمكن الحفاظ على هذا الإرث الحضاري بهاته الطرق والاستفادة منه؟

وللإجابة على هاته التساؤلات أثرت أن أتوجه مباشرة إلى المكتبة الوطنية، وبالضبط إلى مصلحة حفظ المخطوطات وتجليدها، أين التقيت برئيسة المصلحة وتحدثت معها حول آخر تقنيات الصيانة والترميم المتعامل بها مع المخطوطات الوطنية، وقد وجدت استقبالا جيدا سهّل عليّ مهمتي في كتابة هذا التقرير الميداني، ولا يسعني هنا إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لمدير المكتبة الوطنية الذي سمح لي بمقابلة رئيسة مصلحة الحفظ السيدة "عديلة حلاوة" هاته الأخيرة التي غمرتني بلطفها وأكرمتني هي ومن معها من موظفي المصلحة فجزاهم الله عني كل خير.

أولا- مصطلحات الموضوع:

1- التعريف بمصلحة الحفظ بالمكتبة الوطنية الجزائرية:

هي إحدى مصالح المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة وأهمها على الإطلاق، لأن مشروع حفظ التراث الوطني إحدى المسؤوليات الهامة والتحديات الكبرى التي أصبحت تفرض نفسها على المكتبات الوطنية ومراكز الحفظ ومن بينها مصلحة الحفظ والتجليد التابعة للمكتبة الوطنية الجزائرية، والتي تهدف إلى حفظ أوعية التراث الوطني بمختلف أنواعها حيث تحتوي المصلحة على مخبر للتحليل والترميم وورشة للتجليد وآلة للتطهير والتعقيم.

وقد أكدت لي رئيسة مصلحة الحفظ السيدة "عديلة حلاوة" أن المصلحة مرت بمراحل حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن من تقنيات حديثة ذات صدى عالمي كونها تستخدم أحدث طرق الوقاية والمعالجة. وأوضحت أن المرحلة الأولى بدأت إثر افتتاح المكتبة الوطنية الجزائرية سنة 1994م حيث تم فيها جمع الموظفين بشروط تسمح لهم بمزاولة العمل داخل المصلحة. أما المرحلة الثانية فقد كانت بين سنتي 1998-1999م أين تمت عملية الحفاظ على المخطوط من التلف فقط. لتتطور العملية أكثر ابتداءً من سنة 1999م إلى غاية 2009م حيث أصبح موظفي المصلحة قادرين على التدخل في

المخطوط وترميمه لكن دون الحفاظ على الجلد الأصلي له نتيجة لجهل الموظفين بقيمته اضافة إلى عدم فهمهم لطرق التجليد. لكن منذ سنة 2009 إلى يومنا هذا أصبح الموظفون أكثر وعيا واختصاصا بعملية الصيانة والترميم وأصبحت المراقبة دورية وتخضع لشروط مناخية مخصصة ودقيقة وأصبح التدخل في المخطوط بفرعيه الجزئي (الصيانة) والكلي (الترميم).

مفهوم المخطوط:

-2

لغة: المكتوب بالخط، لا بالمطبعة، وجمعه مخطوطات والمخطوطة هي النسخة المكتوبة باليد¹.

اصطلاحا: هو كل ما وصل إلينا من مؤلفات ومصنفات مكتوبة بخط مؤلفها أو بخط أحد النساخ قبل ظهور الطباعة بالعصر الحديث، وقد يتسع مدلول هذه الكلمة ليشمل كل ما كتب بخط اليد حتى لو كان رسالة أو عقد أو عهد أو صحيفة أو كناش أو دفاتر أو كرايس، أو غير ذلك مما كتب بخط اليد ولا يستثنى حتى الرسم².

مفهوم الصيانة:

-3

يمكن تعريف الصيانة بوجه عام بأنها العمليات التي ترمي في مجموعها إلى إطالة وجود شيء ما بالحيلولة دون وقوع ضرر به أو بمعالجة ما يتعرض له من تدهور، ولكي يتسنى حفظ مخطوطات المكتبة الوطنية جيدا لا بد من تنظيم مراقبة دائمة للظروف المحيطة بها، وإيلاء عناية خاصة لطرق التداول والاستعمال. فالتطور الذي عرفته علوم البيولوجيا والكيمياء، قد مكن من حصول تقدم كبير في مجال صيانة المخطوطات³، وصيانة هذا التراث تتطلب وسائل وإمكانيات خاصة، مثل وسائل قياس الحرارة والرطوبة، وتوفير الرفوف المناسبة، وعلب الحفظ المقاومة للحموضة، كما تتطلب كذلك تكوين فريق مدرب في هذا المجال، هذا بالإضافة إلى وضع مخطط دقيق وشامل يضم التوصيات التي ينبغي تطبيقها في مجال سياسة صيانة التراث.

مفهوم الترميم:

-4

¹ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004، حرف الخاء.

² خليل حسن الزركاني: صيانة المخطوطات العربية وترميمها، مركز احياء التراث، جامعة بغداد، ص 4.

³ ادريس كرواطي: الخط العربي والمخطوطات من خلال النشر الورقي والنشر الالكتروني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المغرب، 2008، ص 256.

هو عملية تكنولوجية دقيقة ذات عُرف خاص موحد عالمياً، وهي في الوقت نفسه عملية فنية ذوقية جمالية تحتاج إلى حس عال ومهارات فائقة، وتتضمن عمليات تجميع وثبتية وتقوية وتجميل وإعادة المواد الأثرية إلى شكل أقرب إلى أصلها وحقيقتها، وهي بتعبير آخر عملية علاج للأثر الذي تخلفه السنوات المتعاقبة في محاولة لإزالة بصمات الزمن ومظاهره المتعددة مثل الكسور، والتشققات، والثقوب، وأحياناً اختفاء أجزاء معينة تختلف في حجمها أو مساحتها، كذلك موقعها داخل جسم الأثر أو المادة المراد معالجتها.

ويعرفه الدكتور ادريس كرواطي¹ على أنه إعادة المخطوط بقدر الإمكان إلى حالته الأصلية والحفاظ عليه بخصائصه الأصلية من حيث الشكل الظاهري والمحتوى الحضاري، الأمر الذي يحتم إنقاذ أكبر قدر ممكن من مادته بكل الوسائل والإمكانات المتاحة، ويتطلب الترميم قبل كل شيء روحاً من إنكار الذات وقدر كبيراً من الاحترام للوثيقة، أي الامتناع عن أي إسهام إبداعي، والاحترام الفائق لعمل المؤلف ولما أراد أن ينقله إلينا. كما أن الهدف الأساسي من عملية الترميم هو استعادة الأوراق القديمة للمتانة والمرونة التي فقدتها مع الزمن نتيجة لتعرضها لعوامل التلف المختلفة، وإصلاح ما بها من تمزقات دون أن يترتب على ذلك محو أو تغيير أو تشويه أو طمس للخصائص المادية أو المعنوية للمخطوط.

وهناك الآن مناهج تقليدية ومناهج حديثة في ترميم المخطوطات، وهناك طريقتان مختلفتان من حيث التقنية، لكنهما يلتقيان من حيث العناصر المكونة لمختلف عمليات الترميم، فالترميم إما أن يكون ترميماً آلياً أو ترميماً يدوياً.

أما الأول (الترميم الآلي) فميزته من حيث السرعة في الإنجاز، غير أنه لا يصلح لترميم جميع المخطوطات، ذلك أن المواد المكونة للمخطوط هي التي تتحكم في اختيار تقنية دون أخرى، و يتعلق الأمر بالخصوص بنوع المداد وقابليته أو عدم قابليته للذوبان في الماء، إذ أن قابلية المداد للذوبان في الماء تحتم إجراء ترميم يدوي رغم وجود مواد مثبتة للحبر، والتي أصبح أخصائيو الترميم يتفادون استعمالها ما أمكن، نظراً لآثارها الجانبية على المخطوط. ويعتبر النوع الثاني من الترميم اليدوي أكثر جودة من الترميم الآلي، غير أن عملياته تعتبر بطيئة بالمقارنة مع الترميم الآلي.

¹ نفسه، ص 284.

وبالرغم من هذا التنوع في الترميم إلا أن السيدة "عديلة حلاوة" رئيسة مصلحة الحفظ بالمكتبة الوطنية أكدت لي أنهم استعملوا تقنية الترميم بالآلة لمدة زمنية قصيرة إثر اقتراح أعضاء مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بالامارات¹ عند زيارتهم الأولى سنة 2001م للمكتبة الوطنية الجزائرية مؤكدين لهم أن الترميم بالآلة أفضل من الترميم باليد، لكنهم سرعان ما غيروا الطريقة خوفا من تضرر المخطوط، خاصة وأن التقنية غير معروفة كثيرا لدى موظفي مكتبتنا الوطنية، كما أن الترميم باليد يكون أأمن على المخطوط منه بالآلة، وقد تم تقديم الفكرة لأعضاء مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في زيارتهم اللاحقة سنة 2009م، وهو ما يؤكد تبادل الاقتراحات والخبرات بين مختلف مراكز الحفظ، والذي من شأنه الرقي بتقنيات الصيانة والترميم، وبالتالي الحفاظ على التراث العربي والاسلامي.

وفيما يلي سنحاول ادراج مراحل حفظ المخطوطات التي تعتمد عليها مصلحة الحفظ بالمكتبة الوطنية الجزائرية حيث يتم ذلك بطريقتين أساسيتين هما الصيانة (الوقاية) والترميم (العلاج)، أما الأولى فتقول عنها السيدة عديلة حلاوة رئيسة مصلحة الحفظ أنها عملية جزئية لإزالة الغبار وإصلاح بعض التمزقات وغيرها وتتم عن طريق تهيئة الأوضاع المناسبة وتوفير الشروط الضرورية لضمان سلامة المخطوطات مع مرور الزمن، في حين تقول عن الترميم أنه عملية التدخل بشكل كلي في المخطوط حيث يمكن أن يتغير المخطوط تماما، مع ملاحظة استحالة ترميم المخطوط مرتين وهو ما سنراه بنوع من التفصيل في العنصر الموالي.

ثانيا- مراحل صيانة وترميم المخطوطات بالمكتبة الوطنية:

1_ مرحلة صيانة (وقاية) المخطوطات:

يعمل المختصون القائمون بوقاية المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية على:

¹ تأسس عام 1991م، هدفه المحافظة على التراث العربي والإسلامي والعمل على نشره. وتحتوي مكتبة المركز على أكثر من 500 ألف مجلد، وقد بلغ عدد المخطوطات التي يكتنيها المركز ما يقارب الخمسين ألف عنوان، منها حوالي 8000 مخطوط أصلي وأكثر من 200 ألف مخطوط مصور. أنظر الموقع الرسمي لمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

- التنظيف الدوري للمخطوطات وتهويتها من حين لآخر بإمرار الهواء النقي داخل القاعة والتخلص من الغازات السامة.
- وقايتها من التلوث الجوي كغلق النوافذ والأبواب بمسؤولية تامة وكذا الاجراءات الصارمة في منع التدخين في القاعة السفلية المخصصة لحفظ المخطوطات وتخزينها.
- ولأن المكتبة الوطنية الجزائرية تقع في منطقة ساحلية كالجزائر العاصمة ترتفع فيها نسبة الرطوبة باستمرار فإن الأمر يتطلب جهدا مضاعفا من قبل الموظفين ويستلزم مراقبة دورية، كما أنهم ملزمون دائما بغلق المخازن الخاصة بها غلقا محكما يضمن سلامتها من آفات الرطوبة، وكذا العمل على ضبط درجة الحرارة والأشعة الضوئية حيث يكون مقياس درجة الحرارة بين: 18-22° أما نسبة الرطوبة فتتراوح بين 45-65 % مع مراقبة عدم التغير المفاجئ لكل منهما.
- محاربة الحشرات ونفض الغبار على صفحات أوراق المخطوط لأن الغبار قد يكون حامل للحشرات أو لبويضاتها التي لا تُرى بالعين المجردة.
- المراقبة المستمرة لها وبالأخص مراقبة أجزائها الداخلية للتأكد من سلامتها وعدم تعرضها للضرر. وفي حال اكتشاف اصابة إحدى المخطوطات بالآفات الضارة كالفطريات وسائر الحشرات وجب عزلها عن بقية المخطوطات والبدء الفوري بمعالجتها.
- رقمنة المخطوط "CD"¹: وهو اجراء جد ضروري ووقائي يضمن نسخة من المخطوط الأصلي في حال ما تعرض للخطر أثناء عملية الترميم، والرقمنة بالنسبة للمكتبة الوطنية هي وسيلة حفظ تدخل في الحفظ الوقائي للمخطوطات وكل الوثائق الثمينة ووسيلة لتوفير المعلومة للباحث بطريقة سريعة وأنية وكبديل عن الأصول. وتهدف للحفاظ على الوثائق النادرة من المخطوطات الأصلية والنسخ الهشة من الملامسات اليومية دون حججها عن الباحثين. كما يمكن تحسين الصورة عن طريق المعالجة الرقمية باستعمال برامج خاصة كالفتو شوب مثلا للتمكن من الطباعة أو الحصول على ملفات "PDF" للتعامل بها عبر شبكة الإنترنت.

¹ حفصة بن حقوقة: الرقمنة في المكتبة الوطنية الجزائرية واقع وآفاق، قسم التصوير والمؤلفات النادرة، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

وقد انطلقت عملية الرقمنة في المكتبة الوطنية الجزائرية سنة 2001 بآلة تصوير جد بسيطة، لكنها كانت الوسيلة الوحيدة لحفظ المخطوطات والوثائق النادرة والحد من الاطلاع على النسخ الأصلية. وفي سنة 2007 تمكنت المكتبة الوطنية من اقتناء مساحات جديدة وعصرية تتماشى والرقمنة الحديثة كالأخاصة بتصوير المخطوطات حيث تُعامل المخطوطات بطريقة مختلفة عن باقي الوثائق نظرا لقيمتها المادية والعلمية خاصة إذا كانت نسخة هشة، فيحاول المختصون قدر الإمكان عدم إيذاؤها خلال عملية الرقمنة، ففي بعض الحالات يرفضون عملية التصوير ويضعون ملاحظة "نسخة غير قابلة للتصوير" وهناك بعض الحالات يلجأون فيها لأخذ صور بآلة تصوير عادية حفاظا على المخطوط وتلبية لطلب الباحث لأن هناك مخطوطات تكون طريقة التجليد مشدودة نوعا ما، فإذا حاولوا فتح المخطوط أو ضغطه بزجاجة الماسح يتحول خيط التجليد إلى آلة حادة تقطع المخطوط وتسبب في إتلافه.

2_ مرحلة ترميم (معالجة) المخطوطات:

وهي المرحلة التي تلي مرحلة الصيانة (الوقاية)، فإذا حدث واكتشف القائمون على وقاية المخطوطات تعرض احداها للخطر تبدأ مرحلة المعالجة والتي بدورها تمر بعدة خطوات منها:

- تشخيص المخطوط بالعين المجردة: الرؤية بالعين المجردة صفحة تلو الأخرى كي يتم تحديد مواقع التلف ونوعية التدخل فيه ونوعية المرض وبعدها القيام بتحضير ملف الترميم.

- تصوير المخطوط في بداية المرحلة العلاجية وأثناءها: حيث يجب تصوير كل جزء من المخطوط لكي يمكن رصد كل المناطق التي يمكن التدخل فيها. وتعتبر هذه المرحلة ضرورية جدا ليس قبل الترميم فقط بل في كل مرحلة من مراحل ذلك لتسهيل عملية المراقبة وتتبع المخطوط في جميع المراحل حتى نهاية ترميمه.

- اعداد وتحضير ملف الترميم: كل ما هو في المخطوط يُدون في الملف حتى مشروع الترميم حيث يحتوي ملف الترميم على كل البيانات الخاصة بالمخطوط من البطاقة البيبلوغرافية كعنوانه ومقياسه البيبلوغرافي وعدد كرايسه وناسخه، إلى وصف المخطوط من ناحية التجليد وهيكل المخطوط من الداخل وكذا حالة المخطوط،

ثم أخيراً مشروع الترميم والذي يحتوي على المعلومات المستخلصة من ما يمكن أن يقوم به المرمم من أجل عملية ترميم المخطوط.

● التدخل في المخطوط: حيث يكون التدخل على جانبيين هل هو تصليح جزئي أم كلي أم تلف. فإذا كانت هناك أجزاء متقطعة فيجب تجميعها والاحتفاظ بها من أجل استعمالها لاحقاً في استكمال الأجزاء الكلية للمخطوط وإعادة إدخالها إلى حالتها الطبيعية، أما فيما يخص مراحل الترميم فهي كالتالي:

● ترميم التمزقات الداخلية البسيطة: ويتم ذلك في كل الصفحات باستعمال ورق شفاف خاص والهدف من ذلك هو إعطاء صلابة ومتانة للمخطوط وذلك بإلصاق التمزقات.

● إزالة الحموضة: رغم استعمال هذه التقنية في مختلف دور الحفظ إلا أن السيدة رئيسة المصلحة أكدت لي أن هذه التقنية لا يتم استخدامها في المصلحة لأن المخطوط لديه درجة حموضة معينة وعملية الإزالة فيها مادة وقوة كيميائية عالية ولا يمكن استعمالها خشية فقدان المخطوط.

● ترميم الأجزاء الناقصة والثقوب المبتورة: وذلك باستعمال ورق خاص يتم استيراده من فرنسا ويسمى بالورق الياباني حيث يقوم المختصون بلصق وتقشير الحواف، أما ترميم كعوب الصفحات المزدوجة فيتم بربط الصفحات المنفصلة بشريط لاصق من الجهة الخلفية مع التقيد بمساحة قياسية موحدة للكتاب. ثم يتم تكوين الملازم من مجاميع الصفحات المزدوجة وخطاطتها ثم تعزيز الكعب بالغراء السائل وتثبيت كسوة القماش به.

● تجليد المخطوط: وهو إجراء وقائي للصفحات المكتوبة، وقد أصبح فناً قائماً بذاته وله من الأسس العلمية والعملية ما يجعله مهنة عالمية وذلك باستخدام المواد الطبيعية مع الأخذ بعين الاعتبار الزخارف الموجودة على سطح الغلاف، وإعادة إدخالها من جديد بما يتناسب وتاريخ نسخ كل مخطوط.

● تجهيز علب الحفظ: والهدف من استعمالها هو حفظ المخطوطات من الآثار المناخية المضرة، إضافة إلى حفظها من التناثر والضياع، وتمتاز هذه العلب بإغلاقها المحكم، وتكوينها المادي النقي من كل الشوائب، والخالي من الحموضة، وهو ما يعطيها مناعة تامة من الإصابات الكيميائية.

وهنا تكون مهمة موظفي مصلحة الحفظ قد انتهت بعملتي الصيانة والترميم وبقي عليهم في الأخير ارسال المخطوط بعلبته الحافظة إلى مصلحة المخطوطات.

ثالثا- تكوين موظفو مصلحة الحفظ بالمكتبة الوطنية الجزائرية:

تسعى إدارة المكتبة الوطنية الجزائرية إلى تكوين موظفيها تكويناً عالمياً للحفاظ على ما تملكه من تراث عريق للأجيال اللاحقة، وفي هذا الصدد أوضحت لي السيدة "عديلة حلاوة" رئيسة مصلحة حفظ التراث بالمكتبة الوطنية أن موظفو المصلحة تم تكوينهم داخل المكتبة من طرف أساتذة مختصون في الصيانة والترميم، إضافة إلى تكوينهم تكويناً مشرقياً وأوروبياً وأمريكياً؛ وذلك عن طريق استضافة مختصون أجانب من طرف إدارة المكتبة الوطنية لتكوين الموظفين بالمصلحة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر كل من الباحثان والخبيران في ترميم المخطوطات: الدكتور "بسام داغستاني"¹ والأستاذ "محمد نضال قواف"² وكلاهما سوري الأصل ويعملان في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدولة الإمارات العربية، وقد حضرا في سنة 2001 وأعادوا الكرة في 2009م.

وتجدر الإشارة إلى أن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث قد نظم الدورة التدريبية الأولى لحفظ ومعالجة وترميم المخطوطات في المكتبة الوطنية الجزائرية، والتي شارك فيها من المركز الوطني الجزائري بمدينة أدرار خمسة متدربين ومن المكتبة الوطنية موظفي مختبر الترميم والبالغ عددهم 12 متدرباً في أسس ومبادئ حفظ وترميم المخطوطات، وقد تناولت الدورة ثلاثة محاور هي: أسس ومبادئ الترميم اليدوي وأسس ومبادئ الترميم الآلي ومعالجات الورق، وأسس ومبادئ التجليد الإسلامي³.

من جهة أخرى استضافت المكتبة الوطنية الخبير التونسي ممثل اليونسكو الأستاذ "عبد العزيز عبيد" لمدة أسبوع من 15 إلى 22 جوان 2011م، وهو استشاري مكنتات ومعلومات وذلك لاستشارته والاستفادة من خبرته في ميدان رقمنة رصيد المكتبة الوطنية وفي ميدان الحفظ، حيث قدم العديد من النصائح والإرشادات من خلال تجربته الطويلة في الميدان وإشرافه على العديد من المشاريع المتعلقة بالمكنتات في مختلف دول العالم خاصة المكتبة الرقمية العالمية ومكتبة الإسكندرية. وفي ختام عمله

¹ وهو رئيس قسم الحفظ والمعالجة والترميم بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدي.

² رئيس شعبة ترميم المطبوعات في مركز جمعة الماجد.

³ مقال بجريدة الامارات اليوم: نشاطات لجمعية الماجد في الجزائر وموريطانيا، 23 ماي 2009.

الترم بإعداد تقرير مفصل حول زيارته الاستشارية واقتراح الحلول المناسبة في كل محور من المحاور المتعلقة ببرنامج الزيارة (الرقمنة - الإعلام الآلي - الحفظ) وإرساله للمديرية العامة للمكتبة الوطنية الجزائرية.¹

وفي نفس السياق حضر الباحث "بول هيبورث"² Paul Hepworth من تركيا في مارس 2013 م ، والذي قام بتدريب المرممين في المكتبة الوطنية وعرف بطرق المعالجة الحديثة للمخطوطات، وقد أكدت لي رئيسة مصلحة الحفظ أن الاستفادة كانت كبيرة جدا لموظفو المكتبة الوطنية، حيث تم فيها تصحيح بعض التقنيات المعمول بها وتطوير البعض الآخر.

وعلى صعيد آخر هناك تكوين خارجي في سوريا والإمارات وفرنسا والبرتغال وغيرها من دول المشرق الإسلامي والغرب الأوربي لموظفي المكتبة الوطنية، وهذا التكوين قد تكون مدته ثلاثة أسابيع، شهر، وقد يستمر لسنة كاملة. وكانت آخر رحلة علمية لموظفو مصلحة حفظ وتجليد المخطوطات إلى البرتغال واستمرت ثلاثة أسابيع.

رابعا- جهود المكتبة لوطنية في جمع التراث:

تحتوي المكتبة الوطنية الجزائرية على مصلحة خاصة تهدف لجمع المخطوطات سواء كانت وطنية أو دولية ويتم تمويل الرصيد الوثائقي عن طريق التبادل والهدايا والشراء حيث ذكرت لي السيدة رئيسة مصلحة الحفظ والتجليد أن المكتبة الوطنية تبنت مشروع تحسيسي لتوعية ملاك المخطوطات الجزائرية المحلية المتناثرة في كل ولايات الجزائر خاصة الموجودة بالزوايا والمساجد والمكتبات الخاصة بأهميتها البالغة، مثل الزاوية العثمانية بطولقة وزوايا غرداية وأدرار وغيرهم، حيث بعثت لهم المكتبة

¹ الموقع الرسمي للمكتبة الوطنية الجزائرية.

² السيد: بول هيبورث، متحصل على شهادة الماجستير في حفظ الأعمال التاريخية وحفظ الوثائق من الثقافات الإسلامية وهو مرمم مخطوطات وورق متخصص في المخطوطات الإسلامية، عمل في متحف والترز للفنون، حيث كان مسؤولا عن مجموعة المخطوطات الإسلامية. توجه إلى تركيا وأسس لنفسه عملا خاصا، كما مارس التدريس لسنوات عديدة، علما أن أحدث مشاريعه أقامها في العراق ومصر والجزائر وتركيا وتضمنت تدريب المرممين في هذه الدول إضافة إلى معالجة مقتنيات المخطوطات الإسلامية من الصفحات النصية المبعثرة إلى التغليف الرائع. أنظر: عبد الغني بوضرة: اختتام مؤتمر المصاحف التاريخية بالدوحة، صحيفة العرب القطرية، العدد: 9468، الجمعة 25 أبريل 2014.

بمراسلات خاصة تهدف بالدرجة الأولى إلى الحفاظ عن المخطوطات وعن إمكانية شراء نسخ منها وحفظها بالمكتبة الوطنية التي تتمتع بأحدث تقنيات الصيانة والترميم، كما أكدت على ضرورة تكوين موظفيهم بالمكتبة الوطنية لأن الهدف الأول هو المحافظة على المخطوطات. وفعلا التحق بالمكتبة الوطنية عددا من الموظفين التابعين لدور المخطوطات بمختلف الولايات الجزائرية للتكوين داخل المكتبة الوطنية وتم تسهيل العملية بعد تلقي طلب رسمي من الجهة المعنية.

الخاتمة:

الواضح أن جهود المكتبة الوطنية الجزائرية ليست بالهينة في مجال حفظ التراث وصيانتته، وهذا ما ظهر لنا من خلال المجهودات الجبارة التي يقوم بها مسؤولو المكتبة الوطنية في هذا المجال، من استخدام للتقنيات العالمية الحديثة والحرص على تكوين موظفيها أحسن تكوين عن طريق الدورات التدريبية المخصصة لهم لفهم تقنيات الصيانة والترميم وتبادل الخبرات من مختلف مراكز الحفظ بالعالم خاصة مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث الذي كان له الفضل في إقامة الدورة التدريبية الأولى بالجزائر مما فتح آفاقا جديدة تعكس روح التعاون الهادف لحفظ التراث وصيانتته.

ومن جهة أخرى تسعى المكتبة الوطنية جاهدة لجمع أكبر عدد من المخطوطات النادرة والدفينة بمختلف المكتبات الأسرية ومكتبات الزوايا والمساجد وغيرها من المخطوطات التي تمثل تاريخ الجزائر بكل ما تحمله من حقائق ومعلومات لا نظير لقيمتها المادية والمعنوية. وفي الأخير لا يسعنا إلا أن ننبه الباحث التاريخي أن يثمن هذا العمل الجبار ويحافظ هو بدوره أيضا على المخطوطات التي توفرها له المكتبة الوطنية لكي نرقى بتراثنا العريق ونظمين سلامته لأجيال لاحقة لا شك أنها ستكون بحاجة ماسة له خاصة مع هذا التطور التكنولوجي الرهيب الذي من شأنه أن يقضي على المخطوطات العريقة وبالتالي على الهوية العربية والحضارة الإسلامية.

المصادر والمراجع المعتمدة:

1_ المصادر:

السيدة: عديلة حلاوة، رئيسة مصلحة الحفظ بالمكتبة الجزائرية الوطنية. وهي المصدر الأساسي في هذا التقرير الميداني.

2_المراجع:

- 1- إدريس كرواطي: الخط العربي والمخطوطات من خلال النشر الورقي والنشر الإلكتروني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المغرب، 2008.
- 2- جريدة الامارات اليوم: نشاطات لجمعية الماجد في الجزائر وموريطانيا، 23 ماي 2009.
- 3- حفصة بن حقوقة: الرقمنة في المكتبة الوطنية الجزائرية واقع وآفاق، قسم التصوير والمؤلفات النادرة، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.
- 4- خليل حسن الزركاني: صيانة المخطوطات العربية وترميمها، مركز احياء التراث، جامعة بغداد.
- 5- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004.
- 6- عبد الغني بوضرة: اختتام مؤتمر المصاحف التاريخية بالدوحة، صحيفة العرب القطرية، العدد: 9468، الجمعة 25 أفريل 2014.
- 7- الموقع الرسمي للمكتبة الوطنية الجزائرية.
- 8- الموقع الرسمي لمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.